وكيف تدّعي انك آتٍ الى هنا بأمري بينما انا اسألك بمزيد الدهشة عن سبب مجيئك ؟ فأنتَ اذاً تريد ان تعزو الى مولاك الملك الكذب والبهتان . تريد ان تبرئ نفسك وتتهمني . فقد ساءَ فألك وأخفق مسعاك ، وانا ابرأ منك ومن تدابيرك وحيلك . واعلم الان ان ليس هنا من تقبض عليه . ولو لم تكن اعمى البصر والبصيرة لادركتَ انه لا يمكن ان يوجد حيثما يلهو الملك وزوجته مَن تبحث عنهُ بجنودك ! .. ان وجود الملك والملكة هو كوجود الله تعالى نفسه يفيض السعادة والسلام على ما حولهما ، ومَن احدقت به العظمة الملوكية وأشرقت عليه اشعة نعمة الملك أصبح طاهراً وشريفاً

سمع الاسقف هذا الكلام وهو يحرق الارّم وقد نسي موقفه وبلغ منه اليأس مبلغاً عظيماً فقال بصوت عالٍ — ولكن جلالتك امرتني بالقبض على الملكة وأعطيتني التعليمات اللازمة لذلك ، فلما صدعتُ بامرك أنكرتني وجحدتَ اقوالك

وما كاد الاسقف يلفظ هذه الكلمات حتى هاج الدم في رأس الملك ، فرفس الارض برجله وقد ارغى وازبد ورفع يده وهجم يريد ان يضرب غاردنر واذا بالملكة قد بادرت اليه فأمسكت يده وقالت — أعفُ عنه يا مولاي لانه كاهن الله . نعم انه يستوجب كل عقاب ولكن رداءه الكهنوتي يشفع به

فبهت الملك وقال لزوجته — أوَ تدافعين عنهُ يا كاترينا ؟ حقاً انكِ طيبة القلب يا عزيزتي لانكِ تشفعين بمثل هذا اللئيم ، وانتِ لو عرفتِ ما دبّره لاغتيالكِ لما أقدمتِ على الدفاع عنهُ ! .. ولكنكِ مصيبة ، فسأحترم

ثوبه الكهنوتي ولا أذكر الرجل الشرير الذي يستره هذا الثوب

ثم التفت الى الاسقف وقال — انت لا تستحق الشفقة والرحمة ولكني أعفو عنك اكراماً للملكة ، فاياك ان تذكرني بشيء مما قلتَ ، والأ فلا شيء يحول حينئذٍ دون صبّ كأس انتقامي على رأسك ! وبما انك من خَدَمة الدين فيجب ان تحترم وظيفتك وواجباتك الكهنوتية لا ان تنصرف عنها الى نصب الاشراك بقصد إهلاك الابرياء . واعلم الان ان كرسي اسقفيتك هو في مدينة ونشستر وواجباتك تدعوك اليها ونحن في غنىً عنك لان الاسقف كرانمر الشريف عائد الينا اليوم ليقوم بالواجبات الدينية نحونا ونحو الملكة

ثم اعرض عنهُ واستند على ذراع الملكة ومشى الى حيث كان اولاً وهو يقول — لقد كانت الغيوم متلبدة فوق رأسكِ يا عزيزتي كاترينا فبددتِها بحكمتكِ وابتساماتكِ اللطيفة وانتصرتِ على اعدائكِ واعدائي فبوركْ فيكِ ايتها المرأة الشريفة الحكيمة . ولما كان هذا العمل قد سرَّني جدًّا بنتائجه فأنا قد أصبحتُ مَديناً لكِ راغباً في وفاء هذا الدين لأقوم بشكركِ وأبهج نفسكِ . فاقترحي عليَّ ما ترومين من المطالب لأقضيه في الحالِ

قالت — شكراً لك يا مولاي فقد غمرتني بالطافك وافضالك حتى لم تبقَ في نفسي حاجة أسألك اياهــا سوى امرين لا بُدَّ لي من ذكرهما إتماماً لبهجة هذا النهار

قال — اذكريهما يا عزيزتي وأنا أعدكِ بقضاء ما تطلبين اذا لم يكن ذلك مستحيلاً

فألقت الملكة رأسها على صدره وقالت — قد وُشي اليك اليوم بثمانية رجال وأصدرتَ امركَ باعدامهم فاشملهم بعفوكَ يا مولاي واجعل من هوءلاء المجرمين الثمانية ثمانية سعداء مخلصين لك حتى الموت . علّمهم يا زوجي العزيز ان يحبوا ملكهم ويعبدوه . ازرع في نفوسهم بدل الشر خيراً . وعلّم اولادهم وزوجاتهم وامهاتهم ان يدعوا لك بطول البقاء لانك أعدت الحياة والحرية لهوءلاء الاباء والاولاد والنساء

فنظر الملك الى زوجتهِ مسروراً وقال — لكِ ما تطلبين ! اننا لا نسمح ليدنا اليوم ان تفارق يدكِ ولا لافكارنا ان تنصرف الى غير الحب والرحمة فقد عفوتُ عن هوءلاء المجرمين وسيُطلق اليوم سراحهم

فأخذت الملكة يده وأدنتها الى شفتيها ووجهها طافح بالمسرة

فقال الملك — وما هو طلبك الثاني ؟

قالت — هو ان تعفو عن سجين وتطلق سراح قلب معذَّب

فضحك الملك وقال — وهل هذا القلب يجري في الشوارع حتى يُستطاع القبض عليه وزجه في السجن ؟

قالت — قد وجدتَ انت هذا القلب يا مولاي وحبستَهُ في صدر ابنتك . انت تريد ان تقيِّد قلب ابنتك اليصابات وتحرمها حرية اختيار مَن تهوى شريكاً لحياتها وفي ذلك منتهى الجور والظلم . فدع القلوب يا سيدي الحبيب تهوى مَن تشاء وانظر الى نفس الانسان قبل النظر الى نسبه

فهزَّ الملك رأسه وقال — ما أبعد افكار النساء عن مواقع الصواب ! حقاً انكنَّ كالاطفال الصغار لا تنظرنَ الى الامور الا بالعواطف والقلوب . فمسألة زواج البرنسة اليصابات من المسائل المهمَّة التي تتعلق

بالعرش والتاج واما انتنَّ فتردنَ حلّها بمقتضى العواطف والقلوب . . حسن يا عزيزتي، فستذكرين لي هذا الامر تفصيلاً، فقد وعدتك ان أفعل ما ترومين فلن أُخلف وعدي

ثم استند على ذراعها وسارا في الحديقة يتنزهان ويتفاكهان بالحديث. وكان رجال الحاشية ووصائف القصر يسيرون في اثرهما على بُعد قليل

اما الاسقف غاردنر واللورد دوغلاس فقد خرجا في تلك الساعة من القصر وهو قد اصبح في نظرهما بعد الحادثة المذكورة كالفردوس المفقود. فارتسمت علامات الخيبة والفشل على وجهيهما وملأت الاحزان قلبيهما، ولكنهما كتما ما بهما من هذه الغصص لئلا يشمت بهما اعداؤهما، وخرجا من القصر وهما يقذفان الملك باللعنات ويتهددان الملكة بالويل والثبور..

ولما ابتعدا عن القصر زفر اللورد دوغلاس زفرةً حارة وقال — قد قُضي الامر واضمحلّ كل امل ولم يبقَ لنا الا التأسف على ما فات . . . قضيتُ هذه المدة في خدمة الكنيسة وقد بذلتُ في هذا السبيل كل ما تملكه يداي وعرَّضتُ نفسي للخطر مرارًا وفقدتُ ابنتي الوحيدة، وهاءنذا خارج الان من قصر الملك طريدًا شريدًا أجرُّ ذيول المسكنة والذلّ، وليس مَن يرثي لبلواي او يجبر كسري . فالى اين اذهب الان، وماذا تنفعني الحياة بعد هذا الخذلان ؟

فقال له الاسقف — مهلاً ايها اللورد ! فلا تستسلم للحزن واليأس، لان ما جرى لم يكن الا سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع . اننا الان خارجان من قصر الملك منكسي الرؤوس منصدعي القلوب، ولكننا لا نلبث ان نعود وقد صفا لنا الدهر وخدمنا التوفيق، ولا يلبث سيف النقمة

ان يعود الى ايدينا فنمزق به اجسام اعدائنا ونقهر الذين اضطهدوننا . ثق برحمة الله ايها الصديق ولا تقنط ؛ لان الله سيدعونا عما قليل الى الجهاد ثانيةً لتمجيد اسمه العظيم

قال — ولكن ما هي الغاية التي سنخدمها بعد الان اذا قُدّرت لنا العودة الى هنا من منفانا ؟

قال — انت تعلم ان أَجل الملك هنري الثامن قريب ، وقد افضى اليّ طبيبهُ سرًّا بان ساعات حياته أصبحت معدودة ؛ لان العلّة قد اشتدّت عليه فلم يبقَ امل بحياته الا بضعة ايام فقط

قال — وماذا ينفعنا موته او حياته بعد الان ؟ فاذا مات هنري تولى سرير الملك ابنهُ ادوارد ربيب آل سيمور الهراطقة ، فتصبح الدولة في ايديهم ولا يبقى للكثلكة من نصير . فاي امل لنا اذًا بموت هنري ؟

قال — لنا بذلك امل كبير

قال — لعل سيادتك غير عالم بان ادوارد بالرغم عن صغر سنه متعصب كل التعصُّب لمذهب الاصلاح ، وان هذا نتيجة تربية آل سيمور له ، فهم قد نفثوا في نفسه الصغيرة هذه التعاليم الفاسدة حتى أصبح الفتى عدوًّا شديدًا للكثلكة

قال — انا أعلم ذلك . وأعلم ايضاً ان ادوارد ضعيف البنية واهي القوى فلا تطول حياته على عرش انكلترا ، ولا تلبث ان تخلفه عليه اختهُ ماريا وهي كما لا يخفى من أخلص ابناء الكنيسة الكاثوليكية واشدّ اعداء المصلحين . فمتى ازف هذا الوقت ، وهو غير بعيد ان شاء الله ، نعود الى لندن فنقبض على ازمة التدبير وننصب المشانق ونضرم نيران العذاب

ونطهّر البلاد باسرها من الهراطقة مهما كان عددهم

قال — عسى ان يأتي هذا اليوم السعيد ايها الاب الصالح لنشفي غليلنا وننتقم لانفسنا . فاستودعك الله الان على هذا الامل . اني مسافر في هذه الساعة الى شوتلاندا وسأقيم فيها الى ان تدعوني الكنيسة الى استئناف الخدمة

قال — وانا راحل الى ونشستر انفاذاً لامر الملك ' ولي الامل الكبير بان أبشرك قريباً بانتهآء المكاره لنعود الى العمل المجيد ' فنخضب ايدينا بدمآء الهراطقة . والله المسؤول ان يجعل ايام هنري الثامن الاخيرة ايام شقآء عظيم وعذاب لا يطاق انتقاماً لنا منه على اساءته الينا

ثم فصل الصديقان بعضهما عن بعض وسار كل منهما في سبيله

*

لما انقضت نزهة الملك والملكة في حديقة قصر ويتغول ' وعاد الملك الى مخدعهِ قرير العين ناعم البال ' اسرعت الملكة الى مخدع البرنسة اليصابات ' فتلقتها هذه بدموع الفرح وعانقتها وهي تقول — الحمد لله على نجاتك يا مليكتي العزيزة . اني اهنئك بهذا الفوز والانتصار وانا معجبة كل الاعجاب بمقدرتك وحزمكِ

فضمّتها الملكة الى صدرها وقالت — والفضل في نجاتي عائد اليك يا حبيبتي فلو لم تنذريني بالخطر لحُكم عليَّ وقُضي الامر... آه يا أليصابات ! اني قضيتُ هذه الساعات في عذاب واضطراب لا تستطيعين ان تتصوريهما . كنتُ مضطرّة الى اظهار السرور والضحك ' بينما كان الرعب آخذاً من قلبي كل مأخذ . وكنتُ مكرهةً على مفاكهة الملك بالنكات والنوادر

بينما كان الحديد يُعَدُّ لتقييدي والسيف يُشحَذ لقطع عنقي . وقد ذقتُ من الوان العذاب في هذه الساعات ما يساوي عذاب الحياة بطولها . شعرتُ في اثناء ذلك بارتياحي الى البكاء ، الى البكاء على هذا العالَم الضعيف الذليل الذي لا يستطيع الانسان ان يحيا فيه بالحق والصلاح والاخلاص في خدمة القريب ، بل اذا أراد الحياة اضطرَّ ان يكذب ويرائي ويخادع ويلبس لكل حالة لبوسها لينجو بنفسهِ من فخاخ الشر والشقاء التي تترصده عند كل خطوة من خطواته . اردتُ ان اذرف الدموع الغزيرة على حالة هذا العالَم ، ولكنني لا أستطيع ذلك في حضرة الملك واهل البلاط ، لان الملكة في عرفهم يجب ان تكون مسرورة على الدوام . فخبأتُ دموعي وتنهداتي الى خلوتي في مخدعي ليلاً حيث اناجي نفسي كل ليلة الساعات الطوال وأندب سوء حظ هذا العالَم المسكين

قالت – ولا تنسي ايتها الملكة ان لكِ في هذا القصر صديقة حميمة تستطيعين في كل وقت ان تفضي اليها بكل ما في نفسكِ من فرح او حزن

فقبلتها الملكة وقالت – هذا مما لا أشك فيه يا عزيزتي ، وانتِ عندي اعزُّ من روحي ، وقد خدمتِني اليوم اجلَّ خدمة ، فجئتُ الان لاظهر لك شكري وامتناني لا بالقول فقط بل بالفعل ايضاً . فاعلمي يا اليصابات ان آمالكِ قد تحققت لان الملك قد وعدني بإلغاء القانون القاضي عليكِ بعدم الزواج الا بمن كان في مقامكِ حسباً ونسباً

فطفح وجه البرنسة سروراً وقالت – ومعنى ذلك انه يُتاح لي ان أجعل حبيبي ملكاً

فابتسمت الملكة وقالت – انتِ فخورة يا اليصابات ونفسكِ طامحة الى

المجد والعلى وقد حباكِ الله باحسن المواهب وافضل المناقب وزيّنكِ بالعقل والذكاء والنجابة ، ولا يبعد ان تكوني يوماً ما ملكةً تأتمر بأمركِ انكلترا باسرها . فهل تودّين يومئذٍ ان يكون زوجكِ مَن هو حبيبكِ الان ؟ لا تنسي انكِ اليوم ، وانتِ صغيرة السن قليلة الخبرة ، تنظرين الى الاشياء بغير العينين اللتين ستنظرين بهما اليها يوم تصبحين ملكةً عظيمة الشان ذات حنكة وروّية . وقد اكون انا مخطئةً في حمل الملك على تغيير قانون زواج برنسات القصر ، لاني اجهل الرجل الذي تحبينهُ ، فلا أدري اذا كان محلاً لثقتكِ واهلاً لمحبتكِ

فطوّقت اليصابات عنق الملكة بيديها وقالت — بل هو يستحق كل رضاكِ وإعجابكِ لانه من أعرق أُسر انكلترا وأعظم رجالها ، وهو وان لم يكن ملكاً او من نسل ملوكي غير ان والدي قد صاهره فاقترن باخته ، واذا قُدّر لاخي ادوارد ان يخلف اباه في الملك فسيكون حبيبي خال الملك

فخفق قلب الملكة لدى سماعها هذا الكلام وقالت — وهل لكِ ان تبوحي لي باسم هذا الحبيب ؟

قالت — نعم اني سأبوح لكِ باسمه ، اذ لم يعد ذلك محظوراً عليَّ . فاعلمي يا ملكتي ان الرجل الذي أُحبهُ والذي اصبحتُ مقيَّدة بهواه هو طوماس سيمور

فأجفلت الملكة لدى سماع هذا الاسم وقد هاج منها هائج الغضب فدفعت البرنسة عنها بعنف وصاحت صيحة مزعجة قائلة بلهجة التهديد — طوماس سيمور ؟ وكيف تجسرين ان تحبي طوماس سيمور ؟

فبُهتت اليصابات وقالت — ولماذا لا اجسر على حبه ؟ واي شيء يحول

دون رغبتي ما دمتُ بفضل شفاعتكِ قد أصبحتُ حرةً في اتخاذ من اهوى زوجاً لي ؟ أليس طوماس سيمور من أعظم نبلاء البلاد ؟ ألا تنظر اليه انكلترا بأسرها بالتجلة والاحترام ؟ ألا تفتخر كل امرأة اذا مال بنظره اليها ؟ ألا يُسَرُّ الملك نفسه اذا رأى هذا الفتى الجميل الباسل والبطل المقدام واقفاً بازائهِ ؟

كانت اليصابات تتكلم و كل كلمة من كلماتها كخنجر يطعن الملكة في قلبها . ولكنها تجلدت وقالت — صدقتِ ان سيمور جدير بهواكِ وهو افضل مَن يقع عليه اختياركِ ، غير ان مفاجأتكِ اياي بهذا الخبر قد ادهشتني كثيراً ، واما الان فلم يبقَ لهذه الدهشة أثر في نفسي لان طوماس سيمور شقيق ملكة ، فماذا يمنعه من ان يكون زوج اميرة ؟

فصبغت حمرة الخجل وجنتَي اليصابات ، فألقت بوجهها على صدر الملكة وحُبس لسانها عن الكلام . وكانت الملكة قد علاها الاصفرار الشديد وشعرت ان الارض تميد تحت قدميها ، ولكنها شدّدت عزائمها وقالت — وهل هو ايضاً يحبك ؟

فرفعت البرنسة رأسها ونظرت الى الملكة بدهشة وقالت — ما هذا السؤال الغريب ؟ وهل يهوى الانسان مَن لا يهواه ؟ ولكن ما بالكِ صفراء اللون ايتها الملكة ؟ وما بال شفتيكِ ترتعشان وجسمك يضطرب ؟

فقالت الملكة وهي تظهر الابتسام — لا شيء . وانما أنهك قواي ما عانيتهُ هذا النهار من الاضطراب والخوف . وفضلاً عن ذلك ففي الامر خطر آخر يتهددنا ، لان الملك مريض وقد أنذرني طبيب القصر بدنوّ أجله ، فيجب ان أتولى العناية به قياماً بواجباتي الزوجية ، فأستودعكِ الله الان

ثم خرجت الملكة مسرعة وقد أخفت ما يمزّق صدرها من الاحزان الجديدة ، وقابلت رجال البلاط وهي باسمة الثغر متهللة الوجه . ولما خلت بنفسها في مخدعها أطلقت العنان لدموعها فجعلت تتحدّر على خدّيها تحدُّر الطلّ على الزهر ، ثم تنهدت من قلب جريح وشخصت ببصرها الى السماء وقالت : أسألك اللهمَّ ان تُفقدني عقلي وتجعلني مجنونة ، حتى لا أذكر بعد الان ان طوماس سيمور قد هجرني وانصرف بحبه الى سواي !

الفصل الخامس والثلاثون

مرض الملك

قضت الملكة بعد مقابلتها الاخيرة للبرنسة اليصابات بضعة ايام في الاضطرابات النفسانية الاليمة والبكاء الشديد لا شيء يعزّيها او يسرّي كربتها وكانت في اثناء ذلك تقاوم هواها رغبةً في التجلّد والسلوّ الى ان تمّ لها اخيراً النصر على عواطفها فرأت من الحكمة ان تخضع قلبها لعقلها وتنصرف الى الاهتمام بزوجها وقد كان مريضاً والعلة تشتد عليه والخطر يدنو منهُ شيئاً فشيئاً وحالتهُ تزداد شقاء من يوم الى آخر . فكانت الملكة لا تفارق سريره لا نهاراً ولا ليلاً وهي تخدمهُ باتمّ عناية وقد أبت نفسها الشريفة ان تقف بازاء سرير زوجها المريض وفي قلبها حب لرجل آخر فرأت ان تنصرف عن هذا الحب

نعم ان حبها لطوماس سيمور كان طاهراً نقياً كفجر الصباح او كصلاة العذراء التي لم تعرف شيئاً من شرور العالم ، غير انها آثرت ان

تضحِي هذا الحب في سبيل الواجب ولا تقف في سبيل هوى اليصابات التي كانت تحبها حباً عظيماً

كانت الملكة تحب طوماس سيمور ، فلما علمت الان بحبه لسواها شقّ عليها ذلك كثيراً ، لانها كانت واثقة باخلاصه لها في الحب وطالما أقسم لها على ذلك في رسائله اليها وفي مقابلته لها ، فلم تستطع الان وقد اطلعت على حبهِ لسواها ان تدرك سرّ نفسه او تعزو اليه الخيانة والخداع. تحققت الملكة ان البرنسة اليصابات كَلِفة بحب طوماس الى الدرجة القصوى فلا بُدّ ان يكون الحب متبادلاً بينهما ولا بدّ ان يكون الدافع لطوماس على حب البرنسة طموحهُ الى المعالي . فقد كانت اليصابات برنسة في مقتبل العمر واتمّ الجمال وامامها مستقبل محفوف بلألآء المجد والعظمة . ولما كانت كاترينا مخلصة في حبها لطوماس فهي لم تشأ ان تقف في سبيل امانيه بل عزمت ان تضحِّي نفسها في سبيل هذا المستقبل السعيد الذي ينتظره

رأت الملكة ان طوماس مصيبٌ في حبه للبرنسة اذا كانت ابصاره طامحة الى العرش فغداً يموت الملك ويخلفه على سرير المملكة ابنه ادوارد السادس فتضطرّ هي ان تتنحّى عن منصّة العظمة لسواها بينما تكون اليصابات قد خطت خطوات واسعة نحو السلطة وربما كان مهرها اخيراً لحبيبها تاج المُلك

أدركت الملكة كل ذلك ولم تخف عليها غاية طوماس من اظهار حبه لها وللبرنسة اليصابات في آن واحد ، فأحبت من تلقآء نفسها ان تتنازل للبرنسة عن هذا الحبيب . وهكذا عصبت جرحها وكفكفت دمعها وانطلقت الى البرنسة وقالت لها باسمة — اليوم آتيك بحبيبكِ ايتها البرنسة ، فقد

أنجز الملك وعده لي ووقّع القانون الجديد الذي يطلق لكِ حرية اختيار من تشائين زوجاً لك ، سواءٌ كان ذلك من الاسر المالكة او من سواها . وسأعطي هذا القانون لحبيبكِ وأؤكد له كل مساعدة استطيع بذلها لكليكما . ان الملك قد قاسى اليوم آلاماً مبرّحة وكان يغيب عن الرشد مرارًا كثيرة ، ولكن تأكدي يا عزيزتي اني سأغتنم اول فرصة من راحتهِ لافاوضه في امركِ وأحمله على اظهار رضاه عن اقترانك بحبيبك . وها انذا ذاهبة الان لاستقبال اللورد سيمور فالبثي انت في غرفتك ، لان طوماس سيأتيك الان حاملاً اليك هذا القانون الجديد

كانت الملكة تتكلم وقلبها يتفطر حزناً ، ولكنها تجلّدت وبذلت كل قوى نفسها لكبح جماح عواطفها الثائرة ، فلم ترتعش شفتاها ولم ينطلق تنهد من صدرها يدلُّ على ما يخامرها من الحزن والانفعال ، نعم ان الكآبة كانت ظاهرة في وجهها وعينيها غير ان الناظر اليها لا بُدّ ان يظنّ ان ذلك نتيجة سهرها عند سرير زوجها المريض

ولما أتمَّت الملكة كلامها ضمت البرنسة اليصابات فقبّلتها ملياً ثم خرجت وليس للدموع اثر في عينيها ، وسارت بقدم ثابتة الى غرفة الجلوس في دائرتها وأمرت احد حجابها باستدعاء طوماس سيمور ، وجلست تنتظر قدومه وهي خائرة العزم منصدعة القلب ، وقد قالت في نفسها : سأموت متى ذهب عني ولكن يجب ان اقابله الان بخلوّ البال والتجلد لئلا اجعل له سبيلاً الى الاطلاع على ما اقاسيه من اجله

اما اليصابات فلبثت بعد خروج الملكة في غرفتها وقد استفزّتها البشرى وملأ الفرح قلبها ، لانها أوشكت ان تبلغ غايتها وتدرك ضالّتها المنشودة

وقد رأت ان انتظارها سيطول وان هذه الدقائق التي ستقضيها الان في مخدعها ستكون دهرًا طويلاً . فكانت تقوم وتقعد ثم تخطر في الغرفة ذهاباً واياباً او تقف عند النوافذ المطلّة على الدهاليز المؤدّية الى غرف الملكة او المشرفة على باحة القصر ، وابصارها شاخصة وافكارها سابحة في عالم الخيال

وانها لكذلك واذا بمركبة اللورد طوماس قد وقفت في باحة القصر وخرج منها اللورد بابهته وجلاله وكان بضعة رجال من حجّابه باثوابهم الموشّاة بالذهب يسيرون في خدمته . فخفق قلب البرنسة عند ما رأته ووقفت وكلها عيون تحدق به وترافقه في سيره

وحانت من اللورد طوماس التفاتة الى نوافذ غرفة البرنسة فرآها وحيّاها وسار في طريقه الى القسم المختص بالملكة

وكانت البرنسة عندما القى اللورد عليها التحية قد اضطربت شديدًا واضطرمت نار الوجد في قلبها . ولبثت تراقبهُ حتى صعد سلالم القصر ودخل غرف الملكة فلم يبق في وسع البرنسة الانتظار وقد ضاق بها المكان وشعرت بان قلبها يحاول الخروج من صدرها ليطير الى حيث كان الحبيب وودّت لو استطاعت ان تخسر من حياتها سنةً كاملةً ويُتاح لها ان تسمع ما يدور بين الملكة وحبيبها من الكلام وما يكون مبلغ سروره متى وقف على هذه البشرى السعيدة

وكانت الصابات لا تستطيع ان تضبط عنان عواطفها فتألمت شديدًا وهي في تلك الحالة وقالت في نفسها : لا بدّ من استراق النظر اليه وسماع حديثه لان في ذلك اعظم سعادة لنفسي واكبر سرور لقلبي .

وعندي المفتاح الذي اعطتني اياه الملكة لآتيها في اي وقت شئت وهو يفتح الابواب التي تفصل بين غرفي وغرفها . فيجب ان أستخدم الان هذا المفتاح لقضاء وطري فأدخل الى مخدع الملكة وأقف في الباب الذي يفضي الى غرفة جلوسها وأرى وأسمع فلا يشعر بي احد

ولما قالت البرنسة ذلك طفح وجهها سرورًا وقفزت الى حيث كان المفتاح فتناولتهُ وخرجت مسرعةً تدفعها عوامل داخلية لم تستطع الى ردّها سبيلاً . ولم تلبث ان دخلت مخدع الملكة واستترت وراء ستائر الباب المؤدي الى غرفة الجلوس

وكانت الملكة جالسة في تلك الغرفة تنتظر قدوم اللورد ، وقد رأته داخلاً فتجلدت واستقبلَتهُ برزانتها المعهودة ، بينا كان هو آتياً اليها بمل الهيام ليضمها الى صدره ويقبلها ما شاءَت نفسهُ الظمآنة

وقد دَهِش اللورد لإقدام الملكة على استدعائهِ في ذلك النهار والملك لا يزال حيًا ولسانهُ لا يزال قادرًا على إصدار الحكم بإعدام زوجته وعشيقها. أفما كان الاجدر بها لو ارجأت هذه المقابلة الى صباح اليوم التالي ؟ فقد اثبت الاطباء ان الملك لا يعيش الى الصباح . فعندئذٍ فقط ينهدم كل حاجز بين الملكة وحبيبها ويصبح كل منهما حرًا

الى هذا الوقت كان طوماس سيمور يظهر حبه للملكة وللبرنسة اليصابات في وقت واحد وكانت كلٌ منهما تعلل نفسها بالحصول عليه . غير ان حبه للملكة كان اقوى واشدّ . ولما دنا أجل الملك ازداد حب سيمور للملكة وأعرض عن البرنسة كل الإعراض

زعم اللورد طوماس ان الملك وهو على فراش الموت سيعهد بكفالة

المُلك الى زوجتهِ الى ان يبلغ البرنس ادوارد (ولي العهد) سن الرشد وستكون مدة هذه الكفالة خمس سنوات كاملة تكون كاترينا فيها ملكة عظيمة الشان مطلقة الارادة فاذا اتخذها سيمور زوجة له بعد وفاة هنري الثامن فانهُ يشاركها في هذا السؤدد العظيم ويكون هو الملك حقيقةً . وربما أُتيح له في خلال هذه السنوات الخمس ان يستميل الرعية الى كاترينا فتعرض عن ادوارد الضعيف وتطلب بقاء الملكة على العرش وحينئذٍ يتمتع طوماس سيمور ونسله من بعده بهذا المجد الباذخ

اما البرنسة اليصابات فليس لها الان امل بالمُلك ولا بالكفالة لان امامها ثلاثة اشخاص احق منها بذلك وهم الملكة كاترينا والبرنس ادوارد والبرنسة ماريا وهي الابنة الكبرى لهنري الثامن

هذا ما كان يجول في خاطر اللورد طوماس وهو قادم لمقابلة الملكة وقد نسي البرنسة اليصابات واحتقرها في قلبه ولم يعد يبالي بها اذ لم يكن لها امل بالعرش

ولما دخل غرفة الجلوس أمرتهُ الملكة ان يسدل الستائر على الباب الذي دخل منه . وفي تلك الدقيقة تحركت الستائر المسدولة على الباب الآخر، وهو الذي يؤدي الى مخدع الملكة، فلم ينتبه سيمور ولا الملكة الى ذلك لانهما كانا في شغل شاغل، ولم يبصرا تلك الستائر تتحرك وتهتز من وقت الى آخر، ولم يعلما ان البرنسة اليصابات كانت مختبئة وراءها تراهما وتسمع كل كلمة يقولانها

ووقفت الملكة ومشت قليلاً لتستقبل اللورد سيمور . وقد التقى نظرها بنظره فارتجفت وشعرت بانكسار قلبها وطفر الدمع من عينيها

فاطرقت برأسها الى الارض قليلاً لئلا يبصر اللورد دموعها ثم مدَّت اليه يدها فأخذها سيمور بلهفة وقبلها طويلاً وهو يضغط عليها بشدة . فازداد اضطراب الملكة وخشيت ان تسطو عليهـا العواطف ويتولاَّها الضعف البشري فلا تعود تستطيع كبح جماح هواها واظهار تجلدها ولذلك أسرعت فجذبت يدها من اللورد بعنف وتراجعت عنهُ قليلاً ثم اخذت ورقة عن مائدة في الغرفة فناولتهـا للورد وقالت — اعلم يا حضرة اللورد باني قد دعوتك الان لاعهد اليك قضاء مهمة . فأسألك ان تحمل هذه الورقة الى البرنسة اليصابات . ولا بأس من اطلاعك على مضمونها لانه يهمك ويسرّك فهي تتضمن قانونًا جديدًا وضعه الملك لزواج برنسات البلاط ، يطلق لهنّ حرية الزواج بمن شئنَ من الرجال سواءٌ كان هو٫لاء الازواج من النسل الملوكي او من غيره ، ويبقي لهنَّ في الوقت نفسه ملء الحق في وراثة الملك . هذا هو مفاد امر الملك بهذا الشان ولا ريب في انك ستشكرني كثيرًا لاهتمامي بجعلك رسولي لنقل هذه البشرى المفرحة الى البرنسة اليصابات

فذهل طوماس وقال — ولماذا تظنين يا حضرة الملكة ان هذا الخبر يسرُّني ؟

فأجابت — لان البرنسة نفسها قد باحت لي بسرّ قلبها وأطلعتني على ما بينك وبينها من تبادل الحب

فأجال اللورد بصره في جوانب الغرفة وقال بصوت خافت — وهل نحن وحدنا هنا ايتها الملكة ؟ أفلا يسمعنا احد ؟

قالت — نعم اننا وحدنا هنا ولا يسمع كلامنا الا الله

الكتب الآتية تُطلب من ادارة « النفائس العصرية » بالقدس

تاريخ
الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية

لمؤلفه شكري خليل سويدان

ثمن النسخة ٥ فرنكات والبريد ٣٠ س

رواية الكونت دي مونغوميري

لاسكندر دوماس الكبير

معرَّبة بقلم قيصر زينيه

ثمن النسخة فرنكان والبريد ٣٥ س

الحسناء المتنكرة

رواية تاريخية ادبية غرامية

تتضمن تفاصيل المواقع الحربية التي نشبت في جزيرة قبرس بين العثمانيين والبنادقة على عهد السلطان سليم الثاني

معرَّبة بقلم منشىء هذه المجلة

ثمن النسخة فرنك والبريد ١٥ سنتيماً

الثمن يُرسَل مقدَّماً مع الطلب

فهرست الجزء الثامن

وكلاء المجلة في البرازيل

في اراغواري — ولاية ميناس — ميخائيل افندي خليل الكعدي

« غوياندرا — ولاية غوياز — جاد افندي سليمان الخوري

« كامبوس — شاكر افندي الحداد

« كويابا — ولاية ماتوغروسو — خليل افندي سابا